

محاضرة في أنثروبولوجيا الاتصال

د. باغور يمينة

الاتصال الرقمي (الشبكي)

الاتصال الرقمي وسيلة اتصال تقوم على تشفير المعلومات والأفكار رقميا ونقلها إلكترونيا وهو يعتمد على الحواسيب والهواتف الذكية والأنترنت.



نشأة الاتصال الرقمي:

باختراع التلغراف عام 1838 بدأ الاتصال الرقمي فقد كان التلغراف عبارة عن اتصال يعتمد على نبضات كهربائية لنقل الرسائل، وفي الخمسينات من القرن الماضي تم اختراع الرقاقة الدقيقة التي أدت لتطور واختراع الكمبيوتر، وفي الستينات تم اختراع الويب. وفي القرن 21 انتشر الهاتف المحمول والكمبيوتر الشخصي وأصبحت الأنترنت متاحة للجميع.

تعريف نظام الاتصال الرقمي:

يقوم نظام الاتصال الرقمي على إرسال إشارات في نطاق محدود من مرسل إلى مستقبل، تحلّل الإشارة باستخدام معالج خاص بالتصفية التناظرية وقد تشفر المعلومة لتصل إلى المتلقي.

مميزات الاتصال الرقمي:

يتميز الاتصال الرقمي بمجموعة من الميزات التي تجعله متقدما على غيره من أنواع الاتصال فهو ينقل المعلومات لمسافات بعيدة خلال وصلات ألياف ضوئية وهو مرن وشمولي وينقل البيانات (نصوص / صوت/ صورة) بدقة فائقة كما أنه يتميز بقلّة التكلفة فهو رخيص مقارنة بغيره وهو يتصف بالأمان في نقل المعلومات .

وسائل الاتصال الرقمي:

تتنوع وسائل الاتصال الرقمي منها النصية والمرئية والصوتية ومن أشهرها: الرسائل الفورية والمواقع الالكترونية (مواقع الويب) ووسائل التواصل الاجتماعي (فايسبوك/ تويتر/ انستغرام/ يوتيوب/ الواتساب/ السناب شات) وأيضا دردشة الفيديو (تطبيق زوم وغوغل ميت) والنشر الالكتروني (المكتبات الرقمية/ الكتب الالكترونية النصية والمسموعة) وبرامج المحادثة والتلفزيون التفاعلي وغيرها من الوسائل

أهمية الاتصال الرقمي:

يبقى الاتصال الرقمي الأفراد من مختلف الثقافات على اتصال دائم ومستمر وهو يسهم في محو الأمية وتعزيز الوعي المعرفي من خلال التفاعل مع الآخر (بناء صداقات خارج الحدود) ولهذا يستخدمه حاليا أكثر من 2 مليار شخص حول العالم يوميا

الاتصال وعلم التحكم الآلي (السيبيرنيطيقا):

La cybernétique

في الفترة الممتدة من 1942 إلى 1948 أصبح الاتصال واعيا بذاته ومستقلا وتطورت معظم تقنياته وأصبح من الضروري فهم التفاعل بين هذه التقنيات والسياق الاجتماعي الذي تحدث فيه، في خضم هذا التطور العلمي الهائل الذي شهده مجال الاتصال ظهرت علوم ومعارف جديدة أهمها علم التحكم الآلي (السيبيرنيطيقا) التي برزت في جو تنافسي بين ذكاء الآلة وذكاء الإنسان.

هذا العلم ظهر في أمريكا خاصة والدول الأوروبية الأنجلوساكسونية وهو تركيب لمجموعة من المعارف والعلوم (الفيزياء، الرياضيات، علم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، الفلسفة، الطب وغيرها) لهذا لا يمكن فهم معنى هذا العلم وتحديد هويته والغاية منه إلا ضمن ما يعرف بالتداخل المعرفي في الاستمولوجيا، ومن أبرز مؤسسي هذا العلم نذكر (نوربيرت وينر).

تعريف السيبرانية: هي كلمة يونانية معناها (ربان السفينة) وهي تعني السيطرة والتحكم وهي تعبر عن مجموعة مفاهيم تحكم عمل منظومة ما تتكون من أجزاء بحيث تتحكم في ذاتها بالاعتماد على ما تتبادله أجزاءها من معلومات فيما بينها أثناء عمل المنظومة.

علم السيبرانية علم يهتم بالدراسات التي تقارن بين أنظمة التحكم الآلي وهو علم يدرس الكيفية التي يتحكم بها الإنسان أو الحيوان أو الآلة ببعضها البعض.

يعرف الأب المؤسس لعلم التحكم الآلي هذا العلم: "هو علم القيادة أو التحكم في الأحياء¹ والآلات ودراسة آليات التواصل في كل منهما"

من خلال هذا التعريف نفهم بأن السيبرانية هي البحث عن القوانين العامة للاتصال² (ظواهر طبيعية أو اصطناعية، آلات، حيوانات، رجال، مجتمعات التي يمكن تفسيرها بالاعتماد على الرياضيات)، تجدر الإشارة هنا إلى وجود تشارك مع مصطلح المراقبة ومصطلح السلطة، والمراقبة هنا مرادف للتنظيم. بالنسبة لوينير كل تفكير في الاتصال مرتبط بفكرة التحكم والموازنة والإتقان والتنظيم، وهنا يظهر توجهان:

1/ تميل السيبرانية إلى إنتاج نتائج ملموسة

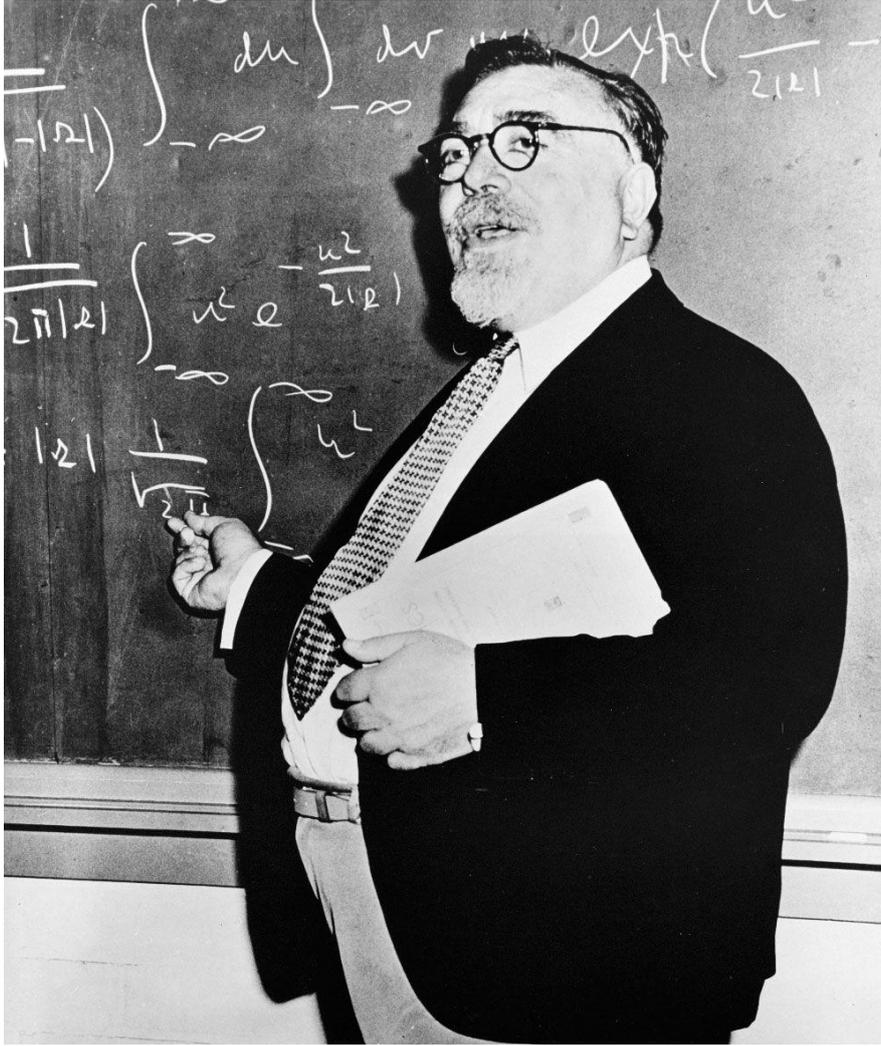
2/ تنغمس السيبرانية في التفكير في طبيعة الكون والظواهر الإنسانية والتحوليات في النظر إلى الاتصال كظاهرة مركزية.

¹ Cours d'anthropologie de la communication, fr.scribd.com

ويتيح مفهوما التنظيم والموازنة استيعابا أفضل للكيفية التي يفهم بها (فينر) هوية الإنسان وما يهم هنا بخصوص تصوّره للهوية هو الإصرار على الغايات الداخلية للنظام من جهة ووجود مرونة خاصة للتمثلات التي تعبّر عن هذه الغايات الداخلية في علاقتها بوسطها من جهة ثانية، وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان والحيوان والآلة يشتركون في نقطة واحدة تخضع لمنطق موازنة مشترك لكن سلوكياتهم تختلف في قدرتها على التعلّم أي إثراء التمثلات الداخلية من خلال العلاقة المتبادلة مع البيئة وفي هذا السياق تسير مهارات الاتصال والقدرة على التعلّم جنباً إلى جنب .

جمع (وينير) مجموعة من التأمّلات حول المجتمع وقام بالمقارنة بين الأنظمة الآلية والتنظيمات البشرية وتوصّل إلى أنّ الاتصال يجب أن يصبح قيمة مركزية في المجتمع وإيصال المعلومة يجب أن يتعارض مع الإنترنت (الإتروبيا مفهوم يستخدم في مجال المعلومات والفيزياء وهو يشير إلى مقدار الاضطراب أو العشوائية في نظام ما، فكّما زادت الإنترنت زادت العشوائية وصعوبة استعادة النظام إلى حالته الأصلية) فالمعلومة بالنسبة لوينر هي مقياس للنظام ودور الاتصال هو معالجة الاضطرابات التي من صنع الإنسان ومعالجة الشر الذي تحمله الطبيعة بداخلها لهذا لكي تؤدي السيرنطيقا مهمتها التي مؤسس تتمثل في الاتصال الجماهيري يجب أن يقوم هذا الاتصال على قواعد أخلاقية

السيبرنطيقا (نوربير وينر)



ويضيف وينر: إنَّ الآلات قادرة على تنظيم الإنسان لكن هذا لا يعني أن يتخلى الإنسان عن مسؤوليته تجاه المجتمع والطبيعة فمن واجب كل فرد أن يقلل الإنترنت من حرية تداول المعلومات وخير مثال على ذلك الإنترنت كل شيء فيها يدور بحرية في كل مكان تقريبا وهذا يمثل ضمانا للحرية في تجنب الصراعات السياسية ومن هنا تأتي الأهمية الحاسمة لتطور ظواهر الاتصال (لا يمكن فهم مجتمع إلا من خلال دراسة الرسائل وسهولة تبليغها فالإتصال هو فكرة موحدة. ومصدر رئيسي لوجود الجميع وللمشاركة في مكافحة الإنترنت يجب الحفاظ على قنوات التواصل والتدفق الحر للمعلومات .

آلات الاتصال بالنسبة لوينر هي وسيلة لمعالجة وتبادل المعلومات وهي تسمح بالتنظيم العقلاني (التنظيم الذاتي) من خلال توليها لشؤون الإنسان فالحاسوب مثلا جهاز يحتوي على وحدة معالجة تسمح له بتشغيل البرامج المسجلة وتخفيض كافة البيانات إلى رمز ثنائي ومن وجهة نظر أنثروبولوجية فإن من بين جميع الأجهزة التي تم اختراعها يعتبر الحاسوب الأقرب إلى النموذج الأنثروبولوجي التالي (وظيفة الجسم البشري فالحاسوب

يتكوّن من مجموعة من الألياف التي تشبه السيالة العصبية ووحدته المركزية تشبه دماغ الإنسان).

بينما يعرف الروسي ليسيبانوف السيبرنطيقا: " إنه العلم الذي يبحث في ميكانيزمات الاتصال والارتباط والتنسيق والتوجيه والرقابة بالنسبة لجميع الظواهر الطبيعية سواء تعلق الأمر بالجهاز العصبي للإنسان أو نمو وتطور الكائنات الحية، كذلك تهتم بصفة عامة بسيرورة اقتصاد المجتمعات الذي يتم توجيهه وفق مجموعة قوانين محدّدة و عليه يمكننا القول أنّ السيبرنطيقا هي مجموع النظريات والاختصاصات التي تهدف إلى دراسة وفهم انتظام الظواهر سواء في الكائنات الحية أو الآلات المصنّعة³ وهي تحاول أيضا اقتراح القواعد والميكانيزمات التي تتحكم في توجيهها.

الأنترنت: التطبيقات الحديثة للسيبرنطيقا:

في 1991 بدأ تنفيذ مفهوم السيبرنطيقا بإنشاء مشروع لحفظ وتمثيل وتطوير الإنتاج الفكري من خلال أسلوب جديد (أسلوب الشبكة المفهومية) وقد تمّ تنفيذ هذه الشبكة من خلال بنية حاسوبية تستخدم أحدث ما تقدمه تكنولوجيا المعلومات مثل البريد الإلكتروني والنشر الإلكتروني وإقامة المؤتمرات والملتقيات عن بعد

يعرف العالم اليوم ثورة في مجال الاتصال خاصة بعد استعمال الأقمار الصناعية وظهور الأنترنت التي حولت العالم لقرية صغيرة خاصة بعد التطور الهائل الذي شهدته حيث أصبحت توفر لمستخدميها مستوى عال من التفاعلية والتشارك وتغيير دورهم من زبائن إلى شركاء في المحتوى.

دراسة مصطلح (أفاتار)

مصطلح (أفاتار) من اللغة السنسكريتية ويعني النزول، وفي الفلسفة الهندوسية يشير الأفاتار إلى تجسيد الإله (فيشنو) عند نزوله على كوكب الأرض

معنى الأفاتار في وسائل التواصل: هي صورة الملف الشخصي في تويتر أو صورة العرض في الانستغرام وتطلق كلمة أفاتار على الصورة الرمزية أو الصورة المعبرة عن

د. قشي الهام، د. جوادي يوسف: السيبرنطيقا أصولها وتطبيقاتها الحديثة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33/ مارس 2018³

الإنسان، ففي منصات التواصل الاجتماعي يضع بعض الأشخاص صور أفاتار للاعب كرة قدم أو مغني أو رئيس دولة أو زعيم تاريخي وهذه الصورة تعبر عن أفكار هذا الشخص وفي فايسبوك الأفاتار عبارة عن خاصية يمكن من خلالها تحويل الصور الشخصية إلى رسوم متحركة حيث يمكن للمستخدم من اختيار شكل الوجه ولون البشرة والملامح والشعر والملابس المناسبة وتتميز هذه الخاصية بأنها تمكن مستخدميها من استخدام الشخصية الخاصة بهم في محادثات الماسنجر أو عند التعليق على المنشورات بدلا من استخدام الرموز التقليدية (الإيموجي).

دراسة الأفاتار تحتاج لبحوث ذات صلة بأنثروبولوجيا التواصل لأن هذه الطريقة الجديدة في الاتصال يمكن من خلالها للمستخدم التنقل والتواصل عن بعد داخل بيئة مجازية ومكانية "العوالم الافتراضية هي مساحات تمثيل معقدة لأنها غير إقليمية ولها زمنيات متعددة يتفاعل جميع المستخدمين بشكل متزامن في مواقع مادية مختلفة ووفقا للاختلافات⁴ الزمنية المحتملة وتقلص الزمكان

في الأفاتار يمكن للمستخدم تمثيل نفسه من خلال الصورة الرمزية الخاصة به والمشاركة في الديناميكية العلائقية باستخدام تواصل غير لفظي ورمزي مرتبط بالمظهر والإيماءات والحركات.



⁴ Philippe Bonfis: communication non verbale et avatars au sein de la communauté virtuelle. journals.openedition.org

خاتمة:

لقد فتحت طرائق الاتصال الجديدة التي تقدمها الأجهزة مثل العوالم الافتراضية الباب واسعا أمام التواصل الرمزي واللفظي وغير اللفظي وساهمت في خلق روابط اجتماعية وشاركت في ديناميكية العلاقات الجماعية ومازلنا نشهد تطور مستمر لجيل جديد من الأجهزة سيفتح المجال واسعا أمام الباحثين في مجال التواصل.

المراجع:

1- د.قشي إلهام، د. جوادي يوسف: السبيرنطيقا أصولها وتطبيقاتها الحديثة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 33/ مارس 2018 ص141/139

2- مصطفى تيلوين: أنثروبولوجيا الاتصال، دار الحامد للنشر والتوزيع

3-Philippe Bonfils: Communication non verbale et avatars au sein d'une communauté virtuelle, Quaderni communication,technologie,pouvoir,73/automne2010, journals.openedion.org

4- <http://www.scribd.com/doc/22652770/Anthropologie> de la communication-communication-ch-1-la communication et la cyberneti.

